



هل تندلع حرب عالمية ثالثة بسبب الصراعات في الشرق الأوسط؟

نهاية أم بداية

يوم الأحد 19 مارس وبعده لمدة أيام دارت معارك تعد الأكثر عنفا منذ عامين في شرق دمشق، إثر شن مليشيات مختلفة أبرزها جبهة تحرير الشام النصرة سابقا وفاق الرحمن ووحدات الجيش الحر هجوما مباغتاً على مواقع قوات الجيش العربي السوري. كما شنت مليشيات أخرى عدة بينها أيضاً هيئة تحرير الشام مساء الثلاثاء 21 مارس هجوماً ضد قوات الجيش في ريف حماة الشمالي وتمكنت من السيطرة على 11 قرية وبلدة، وفق المرصد السوري لحقوق الإنسان. ورغم أن الجيش السوري نجح في استعادة أغلب المناطق التي دخلها خصومه وواصل تقدمه على جبهات أخرى خاصة في اتجاه إدلب والرقعة فإنه لا يظهر أن المعسكر المعادي مستعد لتقبل النتيجة والعودة إلى التزامات وقف الأعمال القتالية التي تم التوصل إليها في لقاءات «إستانا» التي ضمنتها موسكو وأقرة وطهران. يوم الأربعاء 22 مارس بعد لقائه وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في موسكو أن التطورات الأخيرة «تثير القلق»، مشدداً على أهمية «التوصل إلى عملية سياسية بأسرع وقت ممكن».

دمشق أكدت أن هذا التصعيد هو جزء من محاولة «تقسيم سوريا» من قبل «السياسة الخارجية» و«تفويض» مساعي الحل السياسي. ونقلت صحيفة «الوطن» السورية الخميس عن مصدر في الوفد السوري في جنيف أن «تصعيد الاعتداءات من قبل التنظيمات الإرهابية داعش وجبهة النصرة والمجموعات التابعة لها ضد الأحياء المدنية في دمشق وحماة وغيرها من المدن السورية، توضح بما لا يدع مجالاً للشك، أن تلك المجموعات والدول المشغلة لها تسعى إلى مواصلة استخدام الإرهاب كسلاح سياسي وتقويض أي فرصة لإيجاد حل ينهي الحرب ويوقف سفك الدم السوري».

في المقابل، وضعت القوى المناهضة لدمشق ما يجري على الأرض في إطار «الدفاع عن النفس» تجاه «استمرار النظام في خرق وقف إطلاق النار واستراتيجية التكرع». ومن جانب آخر، «هي رسالة للنظام بأنه لن يستقر وأن ادعاءه بأن الأمور انتهت وهم».

ويرى محللون في هذه الهجمات محاولة لتحسين شروط خصوم دمشق في ظل ضغوط عسكرية وسياسية تتعرض لها.

وصرح الباحث في مركز كارنيغي للشرق الأوسط يزيدي صايغ أن هذه الهجمات «هي على الأرجح مجرد شكل من التفاوض بالنار في وقت يسعى النظام إلى إخضاع خصومه عبر ما يسمى باتفاقات المصالحة» التي يعقدها تدريجياً في محيط العاصمة ومناطق واسعة من سوريا.

ويضيف «ربما تكون أيضاً وسيلة لدعم هامش المناورة لدى المعارضة في ظل الدبلوماسية المعقدة المحيطة بمحادثات جنيف»، لافتاً إلى الوقت ذاته إلى أن «افتقار القضايل للقدرة على مواصلة هذا الهجوم في دمشق وكذلك تحقيق مكاسب استراتيجية».

ويعتبر صايغ أن «مفاوضات جنيف أشبه ببديل في الوقت الضائع. لم تكن جنيف أبداً المكان الذي سيجري التوصل فيه إلى اتفاق ولن تكون كذلك».

روبرت هورد السفير الأمريكي السابق لدى دمشق والذي استقال احتجاجاً على تردد الرئيس السابق باراك أوباما في التدخل عسكرياً في سوريا لإسقاط النظام عندما كانت الفرصة سانحة والذي لا يزال على اتصال بكثير من أطراف الصراع صرح علنياً أن تكون واقعيتين. فالأسد ونظامه لن يرحل. ويضيف «بعد حلب لا توجد أي فرصة لتبديل النظام فهذه هي نتيجة الانتصار العسكري الذي حققه». ويرى السفير السابق هورد، الذي كان يتوقع حتمية انتهاء حكم الأسد، أن نقطة الضعف في وضعه الحالي الذي يبدو حصيناً تتمثل في أن خصومه لن يقبلوا قط استمرار حكمه.

السفير السابق هورد، ذكر بعد أن أجرى مناقشات مؤخراً مع خبراء روس مطلعين على سياسة موسكو، إنهم يعتقدون أن الجيش السوري مرهق وأنه سيكون من الصعب على الأسد استعادة السيطرة على بلاده بأكملها. ويضيف أنه «لا بد من حدوث تحول عن المركزية وهذا وارد بالطبع في مقترح الدستور الذي طرحه الروس، حيث أنه لا يمكن للأسد حتى أن يأمل في إدارة سوريا بقبضة السيطرة المركزية الحديدية التي كان يديرها بها في وقت من الأوقات. غير أن الأسد رفض هذا المقترح».

ويقول مديرون من مراكز القرار في واشنطن أن عدة عواصم عربية وتركيا تعتبر أن نجاح دمشق في كسب النصر يشكل تهديداً لها وكذلك الأمر ولكن بشكل أكثر فداحة لإسرائيل التي تخشى من وصول قوات حزب الله اللبناني إلى الجولان وزيادة تعزيزه لقدراته العسكرية عبر أراضي سوريا.

ولا يتوقع أندرو تيبيلر المتخصص في الشأن السوري بمعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى أن يضغط أحد على الأسد لاسيما حلفاؤه في روسيا وإيران لترك الرئاسة، لكنه يتصور ما قد يكون بديلاً لتغيير النظام. يقول أندرو «علينا أن نتأهب لاحتمال أن يتعرض الأسد في هذا المناخ المتقلب للاغتيال».

جوشوا لاندريس مدير مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة أوكلاهوما الأمريكية ذكر من جانبه إن قوى كانت تطالب بإسقاط الأسد تزداد تقبلاً لفكرة استمرار حكمه ولو بشكل ضمني.

غير أن لاندريس وآخرين يرون أنه حتى إذا كانت أطراف داخل الإدارة الأمريكية وروسيا وجيران سوريا يقبلون بقاء الأسد في جزء من سوريا فليس معنى ذلك أنهم سيحتضنونه أو يسدّدون فاتورة إعمار سوريا. ويضيف «العالم الغربي كله يكره الأسد وسيضغط عليه اقتصادياً، سيصبح مثملاً كان العراق في عهد صدام حسين».